شاهد على العصر

صفوت الشريف

الكتاب: شاهد على العصر / صفوت الشريف
المؤلف: بطيشة، عمر
النوع: برامج الإذاعة
تصميم الغلاف: جيهان متولي
إخراج داخلي: بثينة عزام
الطبعة: الأولى/ القاهرة ٢٠١١
عدد الصفحات: ٨٠ صفحة
المقاس: ١٤×٢٠
تدمك:

١- برامج الإذاعة
٢- الشريف، محمد صفوت
أ- العنوان ب- السلسلة

صرح للنشر والتوزيع

المدير العام: عبود مصطفى عبود

كورنيش المعادي، بجوار مستشفى السلام الدولي، أبراج المهندسين (أ) برج (٢) الدور العاشر.
ت: (٢٥٢٤٠١٦٦)(٢+)
البريد الإليكتروني: darsarh@gmail.com
الموقع الإليكتروني: www.dar-sarh.com
رقم الإيداع: ٢٠١٠/١٩٥٠٩
الترقيم الدولي: 978-977-6382-39-8
ديوي ٣٨٤,٥٤٤٣

شاهد على العصر

صفوت الشريف

مع

عمر بطيشة





صفوت الشريف

مقدمة الناشر

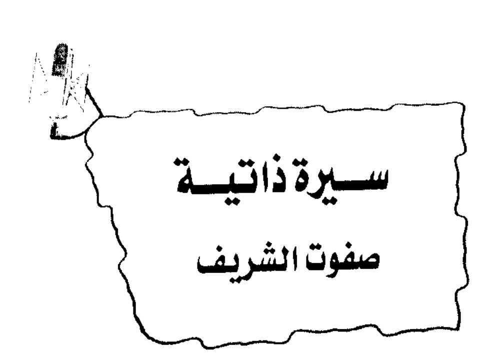
التاريخ المصري مليء بالأسرار والخبايا، التي لم يكشف عنها أحدٌ حتى الآن؛ ولهذا أسباب كثيرة، ربما يكون منها عدم الإفراج عن الوثائق التي تشهد على الأحداث وضياعها بعد ذلك، على عكس ما يحدث في دول الغرب، حيث تسمح القوانين فيها بالاطلاع على الوثائق بعد مُضيّ فترة من الزمن.

لذا كانت شهادات الشخصيات الكبيرة حول الأحداث التي عاصروها وشكّلوا جزءًا مهمًا من ملامحها مصدرًا مهمًا من مصادر معرفتنا بالتاريخ.

من هنا كانت أهميه هذه السلسلة التي تحمل عنوانًا دالًّا على مضمونها وهو «شاهد على العصر». فالشخصيات التي معنا قامات مصرية كبيرة، شهدت أحداثًا كانت نقاطا فارقة ومنعطفات تاريخية مهمة، لذا.. من المهم أن نتعرف على ما عندهم ولم تذكره الكتب، لكنهم أفاضوه وقصوه على الإذاعي الكبير عمر بطيشة في برنامجه الشهير «شاهد على العصر». والذي يسعدنا أن تكون

مادته بين يديك عزيزي القارئ من خلال هذه السلسلة، بذلك نكون قد ساهمنا بدورنا في توثيق هذه الشهادات حتى يستطيع القارئ والباحث الرجوع إليها وقتما يريد.

وهذه الشهادة – تحديدا – شهادة ثرية لأن صاحبها رجل استثنائي، تخرج من الكلية الحربية مرتين، في عهد الملك ثم أعيد تخرجه عقب الثورة، درب الفدائيين في أنشاص، وشغل مناصب عدة بعد عمله العسكري، فمن وزارة الإعلام، إلى أمين عام الحزب الوطني،ثم رئيسًا لمجلس الشورى، دائما يرفض الأدوار الثانوية فهو الرجل الأول في كل مكان يشغله، إنه الوزير: محمد صفوت الشريف، تأتي شهادته من داخل المطبخ السياسي لتبوح بالكثير مما لا يتاح لآخرين.


سيرة ذاتية
صفوت الشريف

صفوت الشريف: مواليد ١٩ ديسمبر ١٩٣٣ بمدينة زفتى بمحافظة الغربية، وهو متزوج وله بنت وولدان، وحصل على بكالوريوس العلوم العسكرية، وتلقى دراسات ودورات متخصصة فى مجال الإعلام والاتصال والرأي العام والأمن القومي في كل من بريطانيا وألمانيا الاتحادية، ويشغل الآن منصب أمين عام الحزب الوطني الديمقراطي بمصر. ورئيس مجلس الشورى المصري. تولى منصب وزير الإعلام المصري لفترة طويلة من الزمن، قبل أن يتولى منصبه الحالي بمجلس الشورى. وهو أحد أفراد مايسمى بـ«الحرس القديم» بالحزب الوطني الديمقراطي الحاكم، الذي لديه أغلبية النواب في البرلمان المصري. عرف بقُربه من الرئيس مبارك.

التحق بإدارة المخابرات العامة سنة ١٩٥٧ وكان قبل ذلك يعمل ضابطًا بالجيش، وبعد انضمامه للمخابرات تدرّب في الفرقة ثم عمل كضابط وحدة ميدان في التحرِّيات والمراقبات لمدة سنة تقريبا، وبعد ذلك تفرّغ لعملية خاصة، وهى عملية الجاسوس

«فؤاد محرم»، ثم عمل في تدريب بعض العاملين بالإدارة حتى سنة ١٩٦٢حيث عمل في قسم المندوبين بالمجموعة ٩٨ رئيسًا لمكتب فرعي وهو مكتب الهيئات الدبلوماسية؛ وكان يرأس قسم المندوبين في ذلك الوقت جمال عباس، واسمه الحركي «محرم» ثم عُيِّنَ في أوائل سنة١٩٦٣رئيسًا لقسم المندوبين حتى ديسمبر سنة ١٩٦٤وتخلل ذلك انشغاله في فرقة تدريب ضباط من نوفمبر سنة ١٩٦٣حتى أبريل سنة١٩٦٤، وتفرّغ بعد ذلك «أي بعد ديسمبر سنة١٩٦٤» لتدريب فرقة ضبّاط أخرى حتى يوليو سنة١٩٦٥.

صعد الشريف بسرعة الصاروخ إلى قمة وزارة الإعلام، خلال سنوات قليلة جدا بدأها في عام ١٩٧٥ عندما ترك العمل العسكري واتجه إلى العمل العام من خلال توليه إحدى الإدارات داخل الهيئة العامة للاستعلامات.

وبعد مضي ثلاث سنوات أصبح رئيسا لها في عام ١٩٧٨. وبعد مضي ثلاث سنوات أخرى أصبح وزيرا للإعلام عام ١٩٨٠، ومنذ هذا التاريخ وهو يحظى بثقة الرئيس مبارك، فقد تولى

وزارة الإعلام والخريطة الإعلامية المصرية لا تضم إلا قناتين فقط، إحداهما لايراها نصف المصريين وربما أكثر، وتركه والحال غير الحال وهناك عشرات القنوات الفضائية ومثلها محلية، إضافة إلى وجود بنية تحتية إعلامية متميزة من أقمار صناعية ومحطات إرسال واستقبال، واتفاقيات تعاونية دولية.. وغير ذلك من الإمكانيات الإعلامية التي لا تتوفر في دولة أخرى في الشرق الأوسط.

فقد قام صفوت الشريف بدور كبير في تطوير منظومة الإعلام المصري حيث تبلورت على يديه نظرية إعلامية مصرية تتفق مع أحداث وتطورات الفكر الإعلامي العالمي المعاصر، أساسها أن الإعلام حق من حقوق الإنسان المصري، وهذا الحق يتعين أن يصل إلى كل مصري على أرض وطنه، وقد تطور الأداء الإعلامي في فترة رئاسته للمؤسسات الإعلامية تطورا كبيرا انعكس في تحقيق السيادة الإعلامية على كل شبر من التراب المصري.

أسس السيد صفوت الشريف نظام الشبكات الإذاعية، وقام بإدخال نظام الإذاعات المحلية، والقنوات التليفزيونية الإقليمية، كما أصبح الإرسال التليفزيوني المصري مرئيا بوضوح لدول عربية مجاورة كثيرة بعد مد أول شريط أرضي من شبكات الميكروويف بطول ٤٥٠٠ كيلو متر .

وتبوّأ صفوت الشريف مناصب عديدة فى محافل إعلامية دولية فكان رئيسا لمؤتمر وزراء إعلام أفريقيا ١٩٨٥-١٩٨٨ ونائبا لرئيس مؤتمر إعلام عدم الانحياز ١٩٨٧-١٩٨٩ ورئيسا لوفد مصر في مؤتمر وزراء خارجية منظمة الدول الإسلامية ١٩٨٩.

وأعاد صفوت الشريف هيكلة العمل الإعلامى في جهازي الإذاعة المسموعة والمرئية والهيئة العامة للاستعلامات من ناحيتي المفاهيم والمعالجة العملية، كما قام بإعادة رسم الخريطة الإعلامية لتحقيق التوازن بين مهام الإعلام والتعليم والتثقيف والترويج لتلبية مطالب كل قطاعات الشعب على المستوى الداخلي وتطوير العمل الإعلامي الخارجي لمواكبة الإنجازات التي تحققها مصر في

علاقاتها الخارجية سواء على مستوى الأفراد أو مستوى الهيئات والمنظمات الدولية.

وقام الشريف بدعم وتوجيه من الرئيس حسني مبارك بجهد كبير لدخول مصر عصر الأقمار الصناعية حيث قامت مصر بإطلاق القمرين الصناعيين نايل سات ١٠١ و ١٠٢ لتكون الدولة الأولى في المنطقة العربية وأفريقيا والشرق الأوسط التي تطلق قمرين صناعيين متخصصين في الاتصالات والمعلومات.

كما أصبحت محطة التحكم الرئيسية الأرضية للقمر الصناعي المصري بمدينة السادس من أكتوبر من المحطات العالمية التي تشارك مع كبرى المحطات في العالم في ضبط ومراقبة وتوجيه الأقمار الصناعية التي تطلقها دول أخرى حيث تماثل محطة السادس من أكتوبر في إمكانياتها أكبر محطات التحكم للأقمار في العالم.

وأعاد صفوت الشريف تجديد استديوهات التليفزيون وتحديث معداتها، بالإضافة إلى دعمه المستمر للدخول في مجال

إنتاج الأفلام السينمائية، كما أقام أكبر مركز للإنتاج التليفزيوني المتكامل بمدينة السادس من أكتوبر على مساحة مليوني متر مربع وهي حاليا مدينة الإنتاج الاعلامي التي يفخر بها كل مصري في الوقت الحاضر.

وقد حصل الشريف على عدد من الأوسمة والأنواط والنياشين المصرية والأجنبية منها وسام الجمهورية من الطبقة الأولى وأنواط التحرير والتعبئة والشجاعة.

وكان مجلس الشورى هو المحطة الجديدة لصفوت الشريف، الذي استطاع أن يظل في دائرة الضوء، رغم أن موقعه ليس بعيدا عن الشمس والقمر أيضا، لأن الدستور المصري نفسه لم يعط لمجلس الشورى أي دور تشريعي يُذكر في حياتنا السياسية أو التشريعية.

وعلى الرغم من ثبات المجلس على حاله القديم، فإن رئيسه لم يكن مثل سابقه، وظل ملء السمع والبصر، واستطاع أن يجد ثغرات تجعله يعيد الحياة إلى مجلس الشورى ويستغل كل ملكية

المجلس للصحافة القومية، ورئاسته للمجلس الأعلى للصحافة، ولجنة الأحزاب السياسية، إضافة إلى وجود المجلس القومي لحقوق الإنسان، كنقاط قوة في الاستمرار نجما كما كان..

وكانت قيادته لحوار الحزب الوطني مع أحزاب المعارضة دليلا أكيدا على أنه ما زال رجلا بدرجة هام جدا لدى الرئاسة، واستطاع أن يحقق نجاحا كبيرا في هذا الاتجاه.




مقدمة الحوار

تأتي هذه الشهادة سريعة متدفقة ثرية، ولأن صاحبها ليس رجلا عاديا، بل رسم ويظل يرسم سياسات كثير من المؤسسات الحكومية الكبرى، من الهيئة العامة للاستعلامات ثم وزارة الإعلام المصرية، والأمانة العامة للحزب الوطني الديمقراطي، فمجلس الشورى والمجلس الأعلى للصحافة، ولجنة شؤون الأحزاب، هذه الشهادة يدلي بها الرجل الأول في كل مؤسسة يتسلم إدارتها، هي شهادة وزير الإعلام، ورئيس مجلس الشورى، وأمين عام الحزب الوطني الديمقراطي: محمد صفوت الشريف.

يذهب بنا الشريف في هذه الشهادة منذ البدايات العسكرية، عندما التحق بالكلية الحربية، وبداياته السياسية المبكرة منذ كان طالبا في الثانوية العامة مع الحزب الوطني، أو حزب مصر الفتاة، تلك البواكير السياسية التي أدخلته قسم الشرطة عندما خطب وهو طالب في مدرسة فؤاد الأول يقول: «هذه الحكومة التي تقف على رجليها مثل خشبتين قد نخرهما السوس، رِجْلُ الأحرارِ الدستوريِّين ورِجْلُ السَّعدِيِّين».

يتحدث الشريف عن حكومة النقراشي وأحمد ماهر، كما يحكي عن الشرارة الأولى لثورة يوليو ويقول: «عندما قامتِ الثورةُ كانت تُمثِّلُ رغبة شعبيّة جارفة في التغيير، ومدًّا وطنيًّا، لا أنسى أبدًا الأسواق ولا من شارك في الثورة من الفلاحين، والطلاب، والمعلمين، فقد كان شيئًا لا يستطيع أحدٌ أن يتصوَّرَه في هذا اليوم، كنا نقفُ بجوار المذياع في الشارع».

يتحدث الشريف أيضا عن دوره العسكري فور تخرجه ويقول: «في البداية كان ليَ دورٌ في إنشاء فكرة التخلّص من الاستعمار، ومحاربته، وكنت من الضباط الذين كانوا يقومون بعملية التدريب للفدائيين، والمتطوعين، والحرس الوطني في أنشاص، والذين يتسلَّلون إلى المعسكرات الإنجليزية ليلًا، ويقومون ببعض العمليّات الاستشهادية، وتلك أيام عظيمة أذكرها بكل الفخر الوطنيِّ».

يتطرق الشريف إلى الخطاب الإعلامي لثورة يوليو فقد كان الخطاب يتحدث عن مبادئ الثورة، ويَمَسّ شغاف القلب،

والوجدان، وبناءَ الجيش، ونحن على أعقاب الخروج من معركة ١٩٤٨، والناس كُلُّها ما زالت تعيشُ في رعب الأسلحة الفاسدة، ورغم هذا تزايدَ الشعور الوطني لدى الناس، وأصبح الرمزُ كبيرًا، من قضاءٍ على الإقطاعِ، فكيف يكون شعور الإنسانُ الريفيُ عندما يجد إقطاعية بالألْفِ أو يزيد؟ ثم يشعر أن الوطنَ، والشعبَ يستعيدُ مِلكِيَّتَهُ الخاصة.

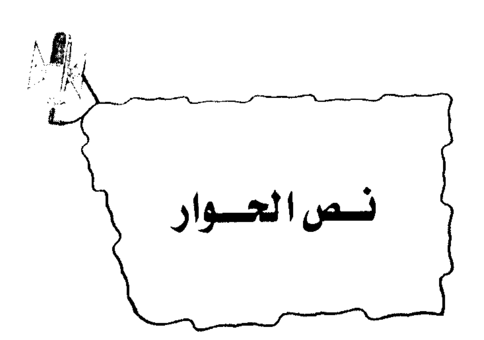
أيضا يذهب الشريف في رصد الثوابت والمتغيرات في الإعلام المصري منذ ثورة يوليو، مرورا بالمقاطعة العربية لمصر بعد اتفاقية السلام في كامب ديفيد، وصولا للإعلام الراهن الذي ينافس في عصر الفضائيات.

ينسب الشريف الفضل الأول في تأسيس التلفزيون والطفرة الإعلامية إلى الدكتور: عبد القادر حاتم وزير الإعلام الأسبق ويعدد انجازات ومجهودات وزراء الإعلام الذين سبقوه.

يختم الشريف شهادته بالحديث عن عصر السماوات المفتوحة وريادة الإعلام المصري وإنشاء مدينة الإنتاج الإعلامي، ثم إطلاق

القمر الصناعي المصري «نايل سات» ويقول: « كل المصريين كانوا متابعين للقمر الصناعي هنا، على الرغم من أن كل المصريين لن يروا غدًا القمر الصناعي، إنها الفخر الوطني.. العزة الوطنية.. إنهم شعروا أنهم على طريق التقدم، وتابعوا الرئيس في زيارات مختلفة.. الأخيرة كانت النشوة المصرية لأنهم يرون كيف يصنع الرئيس مبارك ويعلن للعالم ويقدم، ويقول: من هنا أعلن .. أعلن انطلاق إعلام بلا حدود بكل لغات العالم في كل أنحاء العالم».

شهادة طافت في أرجاء كثيرة بين العسكرية والإعلام والسياسة.


نص الحوار



نرحب بالسيد/ محمد صفوت الشريف شاهدًا على العصر ◆

أهلًا وسهلًا.

الحياة العسكرية

تعوّدنا أن يبدأ شاهد العصر برؤية عامة تنتظم أهم المتغيرات، والحقائق، والأطرحات الجديدة التي وضعت نفسها على ساحة هذه المرحلة من العصر.

ولكن لجلال المناسبة أتجاوز عن هذا السؤال؛ لأعود بالذاكرة مع السيد/ محمد صفوت الشريف إلى البدايات الأولى في سؤال أعتقد أنك لم تتطرّق إليه من قبل حول بداياتك العسكرية الأولى المبكّرة.

إذا عادت بي الذاكرة وتكلّمت عن الحياة العسكريّة فلا بد أن أطرح سؤالًا؛ لماذا اخترت الحياة العسكريّة في مرحلة ما من مراحل شبابي؟ لقد التحقت بالكلية الحربية ولم أبلغ السادسةَ عشْرةَ من عمري بقرار استثنائي.

◆ أُذيع هذا الحوار عام ٢٠٠٢

في البداية عندما كنت أدرس في المرحلة الثانوية كان يجذبني العمل السياسي والحزبي، سواءً في الحزب الوطني، في وقتها، أو في مصر الفتاة[١] في بعض الأحيان، فالإنسان في هذه المرحلة لايكون متبلورًا إلى حد كبير في دراسةٍ لمبادئ الأحزاب، وإنما يسيطر عليه حماس الشباب، ويكون ممتلئًا بالحسِّ والحماس الوطني.

---

(١) **حركة مصر الفتاة:** هي حركة سياسية قومية مصرية، بدأت في ١٢ أكتوبر ١٩٣٣ بقيادة أحمد حسين، متأثِّرة بالحركات القومية في تلك الفترة، وظلّت طوال عشرين عامًا تحارب الاستعمار، والإقطاع، والرأسمالية المستقلة، ونظام الحكم الفاسد، باذلين أرواحهم، ودماءهم، وحرّياتهم وأرزاقهم في سبيل تحقيق ما آمنوا به، وقد ادّعت الحركة بعد نشأتها أنها حركةٌ إسلامية، وعمدت إلى مهاجمة الحانات في القاهرة، وتدميرها في عمليات تم تغطيتها من قبل الصحف المصرية في هذا الوقت، اتخذ مؤسس الحركة أحمد حسين لنفسه لقب الزعيم تشبُّهًا بهتلر وموسوليني، وارتدتْ جماعته القمصان الخضراء، وكانوا يرفعون أيديهم إلى أعلى للتحية على طريقة الفاشست، وكانوا إذا تقابلوا لا يتبادلون السلام المعتاد، وإنما يُحَيي بعضهم بعضًا بقولهم: «الله أكبر والمجد لمصر يا أستاذ» فيرد عليهم بقوله: «مصر فوق الجميع يا أستاذ».

المشاركة في العمل السياسي

أكنت سياسيًا؟

نعم، كنتُ من المنخرطين في العمل السياسي الحزبي، أقود المظاهرات وأتحدث فيها، لأني أُحسنُ الحديث والتعبير، وكنت متحمّسًا رغمَ صِغر سني.

ماذا عن المظاهرات الطلّابية التي كانت تخرج في الأربعينيات؟

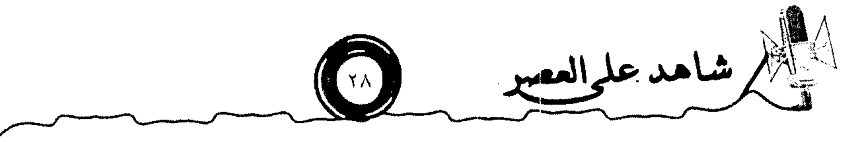
كانت لي خطبة شهيرة في مدرسة فؤاد الأول قلت فيها: هذه الحكومة التي تقف على رجليها مثل خشبتين قد نخرهما السوس،رِجْلُ الأحرارِ الدستوريِّين ورِجْلُ السَّعدِيِّين، وبها دخلتُ قسم الشرطة..

أيهما أفضل؛ حكومة النقراشي[٢] أم أحمد ماهر[٣]؟

---

[٢] **محمود فهمي النقراشي** باشا (**٢٦ أبريل ١٨٨٨ – ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨**): هو رئيس وزراء مصري راحل، ومن قادة ثورة ١٩١٩ في مصر، ترأس الوزارة مرتين، اغتيل في ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨.

ولد في مدينة الإسكندرية شمال القاهرة، عمل كسكرتير عام لوزارة المعارف المصرية، ووكيل لمحافظة القاهرة، ثم صار عضوًا في حزب الوفد، حُكِمَ عليه بالإعدام من قِبل سلطات الاحتلال الإنجليزي بسبب ثورة ١٩١٩، والتي كان من قياداتها ، تولى وزارة المواصلات المصرية عام ١٩٣٠م.



كانت حكومة ائتلافية ما بين السعديين والأحرار الدستوريين إبراهيم عبد الهادي[4]، وفي هذا الوقت دخلتُ قسم الشرطة وألقتِ الحكومة القبض عليَّ، ولكن كان ضباط الشرطة أيضًا وطنيين، فجاء واحدٌ منهم يمسك رِجْلَ كرسيٍّ خشبيٍّ ويضرب على كَتِفِي، ويقول: «إنَّ الرِّجْلَ التى تؤلم، تستطيع أن تُفرِّقَ بين الرِّجْلِ التى نخَرَها السُّوسُ والتى لم ينخرها» ثم صرفونا بعد ذلك،

---

(٣) **أحمد ماهر باشا** (١٨٨٨م- ٢٤ فبراير ١٩٤٥م): رئيس وزراء مصر من ١٠ أكتوبر ١٩٤٤ حتى ٢٤ فبراير ١٩٤٥، كان عضوًا في حزب الدستوريين السعديين، وقد عيَّنه الملك فاروق رئيسًا للوزراء إثر إقالته مصطفى النحاس باشا.

والده محمد ماهر باشا وكيل وزارة الحربية، ومحافظ القاهرة، من أعيان شراكسة مصر، وهو الأخ الشقيق لعلي ماهر باشا.

بعد توليه الوزارة، دعا إلى انتخابات جديدة عارض أن يترشح فيها أعضاء الإخوان المسلمين، بعدما استصدر فتوى ضدهم، سقط جميع أعضاء الأخوان في تلك الانتخابات التي اعتُبِرَت غير عادلة على نطاق واسع، ثم أعلن ماهر الحربَ على دول المحور في الحرب العالمية الثانية التي كانت تضع أوزارها، وذلك للمشاركة في الغنائم الدبلوماسية في نهاية تلك الحرب، فورًا بعد توقيعه قرار الحرب تم اغتياله في البرلمان من قبل مصطفى عيسوي (٢٨ سنة)، وعلى الرغم من ظَنِّ الكثيرين أن عيسوي كان من الإخوان المسلمين، فإنه كان عضوًا في حزب الوفد.

(٤) **إبراهيم عبد الهادي باشا**: ولد عام ١٩٠٠ بالزرقا بالدقهلية. اشتهر بنشاطه الطلّابي وشارك في ثورة ١٩١٩ وحُكم عليه بالاشغال الشاقّة، ثم أُطلق سراحه عام ١٩٢٤.

من أبرز أعضاء الهيئة السعديّة بعد تشكيلها عام ١٩٣٨. عُيّن وزيرًا للدولة للشؤون البرلمانية في وزارة علي ماهر في أغسطس ١٩٣٩ ثم وزيرًا للتجارة والصناعة ١٩٤٠. تولّى في فبراير ١٩٤٧ رئاسة الديوان الملكي.

وكان قد أُلقيَ القبضُ علينا في شارع أحمد سعيد في مدرسة فؤاد الأوّل بالعبّاسيّة.

رغم أني كنت في الثانوية العامة التي كانت تُسمى التوجيهيّة قديمًا كنت علميًا، وأرادتْ أُسرَتي أن التحق بكلية الطب أو كلية العلوم، ولكني وجدتُ أنَّ هذه الكليات بعيدة عن عملي السياسيِّ، فالتحقتُ بكلية الحقوق، فلم يكن نظام التنسيق بالجامعات قديمًا مثل اليوم، فقد كانت تُتَاحُ كليةُ الحقوق لطلاب القسم العِلميِّ آنذاك.

كان النظام مختلفًا تمامًا.

نعم، النظام سابقًا كان يعتمد على الثقافة العامّة التي تضم القسمين الأدبيِّ والعِلميِّ، ويكون التخصص في السنة الأخيرة فقط، وكان من الممكن أن تلتحق بالكليات الأدبيّة رغم أنك تخصصت في القسم العلمي، وأنتقلتُ إلى كلية الحقوق دون علم أسرتي.

سعيًا وراء السياسة والعمل السياسي.

بل سعيًا وراء كلية الحقوق، فهي التي تُخَرِّجُ العاملين في الحقل السياسيِّ، ولذلك فضّلت الانتقال إليها.

وعندما كنتُ في كلية الحقوق أَعلنتِ الكلية الحربية عن قَبُول دفعة جديدة، وذلك بعد أن بدأنا الدراسة بالكلية، فوجدتُ أن أداة التغيير ليست في العمل السياسي، ولا في المظاهرات التي كنّا نقومُ بها، ولكن أداةَ التغيير أنْ تنخرطَ في العمل في القوّات المسلّحة، فتقدمتُ إلى الكلية الحربية، وأصبحتُ مدير تحرير مجلة الكلية الحربية، ورئيس تحرير المجلة يكون من الضباط، وكانت لي مقالات، وكتابات. كنت أقوم بعمل صحيفة الحائط، وهي مجلة ابتدعتُها وصَمَّمتها، وكُتب لي فيها مقالٌ بعنوان «إذا الشعب يومًا أراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر».

وكان هناك - في ذلك الوقت- قائدٌ اسمه الجُنَيْديِّ، كان يجاورنا في الغربية، فقال لي: «أنا أعرفُك، وأعرفُ أسرتك، ولكن حذاري أن تفعل ما فعلته مرة ثانية وإلا اتخذت معك إجراء آخر»

فبدايات الكلية العسكرية كانت نوعًا من رفضِ شابٍّ من داخله لأوضاعٍ كانت سائدةً، كُنَّا نعيشها -نحن الشباب- من فساد الحكم، وديكتاتورية الملك، وتدخُّل الإنجليز والاحتلال، فكانت المعاني كلّها، والأوراق مختلطة ببعضها البعض، فتشكّل في النهاية مناخًا مرفوضًا وغير مقبول، وتخرَّجتُ في الكلية الحربية.

تخرُّجه في الحربية

في أي عام تخرَّجتَ ؟

تَخَرَّجْتُ فيها عام ١٩٥٢م، وكان القادة يمزحون معي، ويقولون لي «اذهب، وأحضر وليَّ أَمرِك، لكي يوقِّعَ على تَسلُّمِ الرَّاتب».

هل لأنك كنت صغير السن، آنذاك؟

نعم، لأني مكثتُ في الكلية الحربية في دراسة متّصلة بلا إجازات نحو ثلاثين شهرًا. فقد كانت دفعةً صعبةً جدًّا، طويلةً للغاية، وكان أولَ تطويرٍ جديدٍ للكلية الحربية أن يدرسَ الطلابُ

مدخلَ القانون، والقانونَ العسكريَّ، والقانونَ المدنيَّ، وعلمَ النَّفسِ، والتاريخَ، والشريعةَ، وبعضًا من الشِّعر.

هل حدثَ تعديلٌ للمناهج في الكلية؟

نعم، حدثَ تعديلٌ في ذالك الوقت، فقد كانتِ المدةُ متّصلةً وطويلةً.

وحدث تَخَرُّجٌ قبلَ ثورة ٢٣ يوليو بأيامٍ، وكنتُ موجودًا وقتها عند الأسرة في بلدتنا في زفتى، وقامت الثورة ونحن في إجازة قبل تَسَلُّمِ العمل، وفي اليوم التَّاليِّ تم استدعاؤنا مرةً أُخرى للعودة إلى الكلية الحربية، وإلى الانخراط في دراسة وطنيّة حول مبادئ الثورة كي يُصحِّحوا لنا كثيرًا من الأفكار.

مكثنا نحو عِدَّةَ أسابيعَ، طلبةً بالقسم النهائي، وأُعِيدَ تَخَرُّجُنا مرةً أُخرى طبقًا لقرارٍ جديدٍ، وكانت أوَّلَ دُفعةٍ تتخرَّج، ويسلّمها محمد نجيب، وحضر أيضًا الرئيس عبد الناصر وسلَّمَنا الجوائزَ.

وهل كانت هذه الدفعة هي الوحيدة التي حدث فيها ذلك؟

نعم، وكنت سعيدَ الحظ عندما نُشِرَتْ صورتي بجريدة الأهرام وأنا أُسلِّمُ على الرئيس محمد نجيب، والرئيس عبد الناصر يقف بجواره.

قيام الثورة

أذكُرُ هنا كلمةً للرئيس الراحل جمال عبد الناصر في بدايات ثورة يوليو حينما قال: لقد جاء هذا الجيل في موعده مع القدر.

حقًا، هي كلمة ذات مغزى. هذا الجيل تَشكَّلَ برُوح ثورة يوليو فعلًا.

عندما قامتِ الثورةُ كانت تُمثِّلُ رغبة شعبيّة جارفة في التغيير، ومدًّا وطنيًّا، لا أنسى أبدًا الأسواق ولا من شارك في الثورة من الفلاحين، والطلاب، والمعلمين، فقد كان شيئًا لا يستطيع أحدٌ أن يتصوَّرَه في هذا اليوم، كنا نقفُ بجوار المذياع في الشارع.

أعتقد أن سعادتَكم كانت مضاعفةً باعتبارك تنتمي إلى المؤسسة العسكرية.

(●) هذا مؤكد، وقد كان لي عظيمُ الشرف فقد كان السيد ذكي محيي الدين قائد سريَّتِي، وقد تعلمت منه كثيرًا من المبادئ التي كان يُحَدِّثُنا فيها كمعلمٍ وطنيٍّ.

وكان – أيضًا – لي الشرفُ أن ألتقيَ بعددٍ من رجال الثورة وأنا طالبٌ في الكلية الحربية، في الصف النِّهائيِّ.

أَكَانُوا مدرِّسين؟

(●) نعم، كانوا مدرّسين، وألتقيت بهم – أيضًا – في مجالٍ آخر، حيثُ كانوا يجمعون، ويعدُّون بعضَ الطلابِ في السَّنَةِ النِّهائيَّة كي ينضموا إلى مسيرة العمل الوطني معهم في هذا الوقت، ويشاركوا في قيام الثورة.

كانوا يُعدُّون الكوادر.

(●) بالطبع، كانت هناك اتصالاتٌ، وبرامِجُ بحيث تؤهّل هذه الكوادر للمشاركة في العمل السياسي، إذا وجدوا فيها الوطنيَّة الكافية.

تدريب المتطوّعين والفدائيين

بعد التخرج انخَرَطْتَ فِي الحَيَاةِ العسكريَّةِ، وبدأتَ تأخذُ مواقعَ فيها، فماذا عن تلك الفترة؟

في البداية كان لِيَ دورٌ فِي إنشاء فكرة التخلّص من الاستعمار، ومحاربته، وكنت من الضباط الذين كانوا يقومون بعملية التدريب للفدائيين، والمتطوعين، والحرس الوطني في أنشاص[٥]، والذين يتسلَّلون إلى المعسكرات الإنجليزية ليلًا، ويقومون ببعض العمليّات الاستشهادية، وتلك أيام عظيمة أذكرها بكل الفخر الوطنيِّ؛ وبعد ذلك طُلِبْتُ للانضمام لهيئة التحرير. وكُنتُ مع لواء اسمه دبارة، ، وكنا مسؤولين مع مجموعة معه عن إنشاء هيئة التحرير في محافظة الغربية.

---

(٥) **قرية أنشاص**: قرية بمركز بلبيس، تقع في محافظة الشرقية على بعد ستين كيلو مترا شرقي القاهرة، ويوجد بها مفاعل مصر النووي الوحيد، والعديد من الوحدات العسكرية، وأحد مطارات مصر العسكرية الهامة، عُقدت فيها أول قمّة عربية في مايو ١٩٤٦، والتي دعى إليها الملك فاروق.

إنشاء هيئة التحرير

ما هي هيئة التحرير؟

كانت أوَّلَ تنظيمٍ سياسيٍّ، واُخْتِيرَتْ لها مجموعةٌ من الأسماء، اختارتهم مجموعةٌ من الضباط برئاسةِ عددٍ من قيادة مجلس الثورة، ولا بد أن يكونوا من الضباط المؤمنين بفكر الثورة، القادرين على التعبير عن هذه المبادئ.

وقمنا بعمل جولة؛ للدعوة لهيئة التحرير، ولمبادئ الثورة في كل قُرى، ومناطق الغربية.

تقصد محافظة الغربية.

نعم، فقد كنت من هذه المجموعة التي استمرّت نحوْ عدةِ أشهرٍ، وكما قلتُ إني كنت في فرقة تدريب الفدائيين، والحرسِ الوطنيِّ في أنشاص، والحرسُ الوطنيُّ كان يشملُ كُلَّ شباب مصر، وكبارَ السِّن.

أنا لا أنسى أني كُنتُ مسؤولًا عَن مُعَسكر تدريبِ المتطوعين في نادي الجزيرة، كان العمل يبدأ من الساعة السادسة صباحًا، بعد

صلاة الفجر مباشرة، وكنّا في تدريب متصل لشباب وسيدات وطالبات واتحاد سوداني حتى منتصف الليل، وتُوجَدُ عندي مجموعةٌ من الصور لهذه المرحلة، وأنا اعتز بها جدًّا.

حسب معلوماتي أن المتميّز من ضباط القوات المسلحة آنذاك كان يتم اختياره للعمل في المخابرات العامة فتم هذا معك.

نعم، وهذا الجيل متميز حقًا؛ لأنه كان أوَّلَ جيل يُنشئ هذا الجهاز، وكان يُنفِّذُ عملية تعليم، وتدريب قاسية، بمفهوم الأمن القومي، ودستوره، والتاريخ السياسيّ لمصر، و كانت عملية الدراسة تمتد لعامين في إقامة كاملة، لا ترى الطلبة طوال هذه الفترة، وكان بها متخصصون في العمل السياسي، وفي العلوم الاستراتيجية، ولا يزال موجودًا، ويدرس فيه المدنيُّون حاليًا، ويُمنح الدارس -بعد دراسة عامين- شهادةً في مجال الاستراتيجية، والأمن القومي، فكانت مرحلةً من مراحلِ صقْلِ الفِكْرِ، مَا بين فكرٍ عَسكريٍّ، وفكرٍ سِياسيٍّ.

إلى جانبِ التربية السياسية، والوطنية من الشارع المصري خلال مظاهراتِ الطلاب، والثورة ضد الاحتلال الأجنبي، وضد فساد الحكم، ثم التربية السياسية الوطنية داخل كلية الحقوق، ثم الكلية الحربية ، ثم بعد ذلك العمل في المخابرات العامة.

ما الذي أضافه العمل في المخابرات العامة لخبراتك السابقة، وماذا أفدت منه بعد ذلك في عملك الإعلامي؟

القوات المسلّحة مَدْرَسَةٌ متكاملة، وهي مسرحٌ -بالفعل- لخلقِ الكوادرِ الَّتي تُخَطِّط، وتَسْلُكُ سلوك الضباط، وتؤمن هذه المدرسة بأن كُلَّ عملٍ لابد أن يقومَ على أساسِ تقديرِ الموقف تقديرًا صحيحًا وسليمًا، وبأن يكون للفرد نظرةٌ مستقبليةٌ، تؤمن -أيضًا- هذه المدرسة بأن النجاحَ لا يتحققُ إلا بالتعليم والتدريب، وأن يعرفَ كلُّ فرد مسؤوليّاتِه، وواجباتِه. وكيف يتعامل مع الرجال؟ وكيف يكون -رغم صغره- مسؤولًا عن فصيلة، أو غيره؟

أي يتعلم كيف يكون قياديًا.

نعم، يتعلمُ كيف يتعامل مع البشر، رغم اختلاف مشاكلهم، واهتماماتهم، وكيف يتعامل إذا كان قائدًا لسريةٍ -مثلًا- ونزل بهم في مكانٍ ناءٍ، وبعيد، يتعلم كيف يجمعهم، وكيف يعيش وسْطَ عددٍ يتجاوزُ المائة، أو المائتين، وكيف يَتصدَّى لمواقِفِهم، ويُعالجُ مشاكلَهم، ويُحسُّ بإحساسهم، ويقودُهُم، ويُخاطبهم ويُعلِّمهم، ويُدخِلُ عليهم روحًا معنويّةً جيّدةً.

هل يكتسب منها معلومات – أيضًا –؟

نعم، الحياة العسكرية تعطيه الفرصة ليقرأ، وَيَطَّلِعَ، وهو قد يكون في موقع يَظلُّ به ما يَقْرُبُ من ستين يومًا، لا يرى إلا الصحراء، والجبال، فهي حياة صعبة جدًا، ولكِنَّها مُحَبَّبَةٌ للبشر، وخريج هذه المدرسة لا يكون مُتَضَجِّرًا منها، إنما هو يحب الحرب، ويحب الصحراء، ويحب رائحة الخيمةِ، فأنا حتى الآن عندما تُعدُّ أُسرتي الطعام في البيت، أمزح مع أولادي، وأقول لهم: «ماذا أعددتم من الخبز؟ راجع لأني تربّيتُ في الصحراء».

فهذا كله يُكَوِّنُ شخصيةً معينةً، عندما تنتقل إلى عملٍ مرتبط بالاستراتيجية، والأمن القومي، وفي مجال العمل في المعلومات والمخابرات، تُثْبِتُ كَفَاءَتَهَا، فهو عمل يقومُ على دقّة المعلومة.

كيف يتعامل مع قضايا التجسس؟

إذا تعامل مع قضايا التجسس؛ فلا بد أن يعيشَ الآخرَ، ويتعرَّفَ عليه؛ حتى يستطيع التعامُلَ معه.

الأمن القوميَّ بمفومه الواسع يشمل من أوَّلِ رغيفِ العيش، وطبق الفول، ويرتقي إلى المؤسسة التعليمية، والمؤسسة الدِّينِيَّة، والعمل السياسي، والعمل الاجتماعي، فهو أمنٌ قوميٌّ لا يتجزأ عن الأمة أبدًا.

إن ثَوْرةُ يوليو وما خلَّفته في هذا الجيل، كان دافعًا إلى أن نُعطِيَ بلا حدود، لأننا نؤمن بالقضية، ونؤمن بالشعب، ونؤمن بكل مرحلة، هذه المرحلة لا بد أن تسبق الاحتلال، ولابد أن يتحقق الجلاء. في عدوان ٥٦[1] رأينا القوات المسلحة، وما بها من

---

[1] **العدوان الثلاثي**: هي حرب وقعت أحداثُها في مصر في عام ١٩٥٦م، وكانت الدول التي اعتدت عليها هي بريطانيا، وفرنسا، وإسرائيل، على إثْر قيام جمال عبد الناصر بتأميم قناة السويس، تُعرف أيضًا هذه الحرب بحرب ١٩٥٦.

الحضور الوطنيِّ الدَّاخِلِيِّ. كان الواحد منهم على استعدادٍ أن يدفَعَ حياتَهُ، هذا الجيل عاش فترةً صعبةً جدًا؛ فعرف معنى القرار، واستقلالية القرار، ومعنى الأحلاف، وأدرك كيف تكونُ مصرُ صاحبةَ القرارِ، وصاحبةَ الاستقلالية..

بالإرادة الوطنية.

حقًا، بالإرادة الوطنية، فمصر لها مراحلٌ مِن الكفاح، والنِّضَالِ الوّطَنِيِّ، الذي فرضه القدر على هذا الجيل.

الخطاب الإعلامي و شعار الثورة

إذن حينها ننظرُ إلى الخلفِ ونَرصُدُ - برؤية ثاقبة، كما تعودناها من مدير الإعلام -كيف كان الخِطابُ الإِعْلاميُّ على مدى مراحلِ ثورة يوليو؟ وكيف تغير؟ كيف بدأ وكيف تَطَوَّر؟

كلُّنَا عَاشَهُ، ولكن ليس صانعًا، فأنا -بجانب كوني- وزير إعلام لم أَعِشْ كصانع، إنها أنا أشعر أن نبض الشعب كان واضحًا، ففي البداية عندما كانتِ الرِّسالةُ: الاتحاد، النظام، العدل.

أكان هذا هو الشعار الأول للثورة؟

(●) نعم، هذا هو الخطاب الذي ترجمته الكلمة، والزعيم، والرئيس، والشارع، والصِّحافةُ، والأغنية، كان الخطاب يتحدث عن مبادئ الثورة، ويَمَسّ شغاف القلب، والوجدان، وبناءَ الجيش، ونحن على أعقاب الخروج من معركة ١٩٤٨، والناس كُلُّها ما زالت تعيشُ في رعب الأسلحة الفاسدة، ورغم هذا تزايدَ الشعور الوطني لدى الناس، وأصبح الرمزُ كبيرًا، من قضاءٍ على الإقطاعِ، فكيف يكون شعور الإنسانُ الريفيُ عندما يجد إقطاعية بالألْفِ أو يزيد؟ ثم يشعر أن الوطنَ، والشعبَ يستعيدُ مِلكِيَّتَهُ الخاصة.

وماذا عن «ارفع رأسك يا أخي»؟

(●) «ارفع رأسك يا أخي لقد مضى عهد الاستعباد»... فالقضاءُ على الاستعمار، وبِنَاءُ حياةً ديمقراطيةً، كل هذه الرسائل كانت تصلُ إلى المواطنِ، والشباب وكُلِّ القاعدة، فزادت من الحماس لديهم.

حماس كتيّار يجرف كل بغيض أثر في النفوس وألّمها.

حماسٌ ينعكسُ على كل الأداءِ الوطنيِّ، وفي سنة٥٤ تم توقيع اتفاقية الجلاء[٧]، وهذا الجلاء كان شيئًا رائعًا، يكفي أن ترى الجنديَّ وهو يرحلُ حاملًا متاعه؛ وعَمَّ هذا الشعور جميعَ طبقات المجتمع.

أثر الصراعات العربية على الخطاب الإعلامي

حتى في الريف!

نعم، حتى في الريف.

بعد ذلك دخلتْ مصر في مرحلة حرب اليمن[٨]، وصراعاتٍ عربيةٍ أُخرى، وبدأتُ الخطابَ الإِعلاميَّ، فأينما تولي وجهك تجد نبرةً عاليةً من الوحدة العربية والقومية العربية في تحرير الخليجِ

---

[٧] اتفاقية الجلاء : ١٩ أكتوبر سنة ١٩٥٤تم توقيع ، وسُجِّل خُـروجُ قـوات الاحـتلال البريطاني من مصر بعد استعمار استمَرَّ ثلاثة وسبعين عامًا، وتسعة أشهر، وسبعة أيام.

[٨] **حرب اليمن (حرب شمال اليمن الأهلية)**: هي حرب دارت في شمال اليمن بين الموالين للمملكة المتوكلية اليمنية، والفصائلِ الموالية للجمهوريّة العربية اليمنية من سـنة ١٩٦٢ إلى سنة ١٩٧٠، وقد سيطرتِ الفصائلُ الجمهورية على الحكمِ في نهاية الحرب.

كان الجانبُ الملكي يتلقى الدعم من المملكة العربية السعودية، بينما تلقـى الجانـب الجمهوريُّ الدعم من مصرَ، والاتحاد السوفيتي، وقد جرت معاركُ الحرب الضَّارية في المدن، والأماكنِ الرِّيفية، وشارك فيها أفرادٌ أجانب، غير نظاميين فضلًا عـن الجيـوش التقليديـة النظامية.

العَرَبِيِّ، والجنوبِ العربي، والمغرب العربي في باندونج[٩] وعدمِ الانحيازِ، كان لذلك الوقتِ تركيبتُهُ الخاصة، وكلها مراحلُ من الخطاب الإعلاميِّ السياسيِّ العربيِّ، والإفريقي، ويتمثلُ دورُ القواتِ المصريةِ في مساندةِ، وتحريرِ شُعُوبِ أفريقيا، أما دورُ الخطاب الإعلاميِّ السياسي، والعربي، والداخلي أيضًا، فقد تعدد بين مواقفَ، ومواجهاتٍ، وتأمينات ، وكان من الطبيعيِّ أن تَحْدُثَ مثلُ هذهِ المُتَغَيِّراتِ في الريف.

هذا ما نُرِيدُ أن نُؤَكدَ عَلَيْهِ مع سيادة الوزير، فأنت لا تريد إدانةَ أيَّ مرحلةٍ من مراحلِ الخطابِ الإعلاميِّ؛ لأنك تَربِطُهَا بِظُرُوفِهَا السياسيَّةِ. أليس كذلك؟

---

[٩] **باندونج:** هي عاصمة مقاطعة جاوة غرب في إندونيسيا، ورابع مدينة إندونيسيه من حيث الأهمية ترتفع ٧٦٨ م (٢،٥٢٠ قدم) فوق مستوى سطح البحر، وتحيط بها الجبال البركانية مما وفَّر لها حمايةً من الأعداء، وسَبَّبَ لها الكوارثَ من البركين، المدينة تأسست عام ١٩٠٦ حيث كانت قبل هذا التاريخ مجموعةً من القُرى.

نعم، يقولون:«حماس صوت العرب»، وأنا لا أدينه - أيضًا- لكونه في مرحلةٍ مواجهةٍ مع الاحتلال، ومواجهة مع من يحمي هذا الاحتلال.

كل الظروف والعوامل مدبّرة.

كلُّ الظروفِ، فالخطاب الإعلامي له نَبْرَتُهُ، وله مَضْمُونُهُ، وَلَه جُمْهُورُهُ، وله أيضا سياسَتُه.

أَوَدُّ أن أَسْأَلَ عن مدى المسافة بين السياسة، والإعلام في هذه المرحلة التي ذَكَرْتَهَا، فهل كان الخطابُ الإعلاميُّ ملتصقًا بالخطاب السياسي، مترجمًا له، ومعبرًا عنه؟ أم كانت هناك فجوةٌ ومطالبة بالعثور على النغمة الصحيحة؟

لا بد أن نكونَ مُنصِفِينَ، مرحلة الثورة من ٥٢ وحتى السبعينيات كانت إذا أردنا أن نتكلَّمَ عن النغمة الصحيحة بعد ٦٧ لابُدَّ أنْ نُؤكّد حقيقةً واضحةً، هي أَنَّ نظامَ الحزبِ الواحِدِ، مرتبطًا بنظام الإعلام المُخَطَّطِ، والمُطَابِقِ للسياسةِ، والملتزم بِها، فالخطابُ

الإعلامي آنذاك هو خطابٌ نابعٌ من المطبخِ السياسيِّ، ويسيطر عليه سيطرةً كاملةً، ولا يستطيع أحد أن يَخْرُجَ عنه.

إذن نحن لا نُحَمِّلُ الإعلامَ المسؤوليةَ في هذه المرحلة، فالإعلام يُبْدي الرأي، ولكن في إطار هذه السياسة، ويُخرجُ الرسالة في إطارها – أيضًا – ، ولا بُدَّ أن تَحظى الرسالةُ بالقَبُولِ من الجهة السياسية، وَإِلَّا وَجَبَ تَغْيِيرُهَا.

بل وأحيانا كما أعلم كانوا يطالبون بها، خاصة في الإذاعة لتحرير في الأرض العربية من الاحتلال أو كان الخلاف العربي-العربي بين مصر وبعض الأشقاء العرب.

فمثلًا: يا عمال البترول اهتفوا.. اعملوا.. حطموا.. الإعلام في هذه المرحلة عاجز أمام السياسة.. وفي أي مرحلة هناك قدر كبير من المطابقة، حرية.. تتيح الفرصة للرأي والرأي الآخر، لكن تظل سياسة الدولة أيضًا حائزة على المساحة الكبرى، بل يتحاور الكل مع هذه السياسة.. القرار طرف والحوار معه طرف آخر..

ثوابت ومتغيرات الإعلام المصري

«هناك ثوابت، وهناك متغيرات في الإعلام المصري»، فما هي الثوابت، وما هي المتغيرات في هذا التطور؟

تتجلى الثوابت في موقع مصر؛ فمصر دولة محورية، ودولة صانعةُ قرارٍ في المنطقة، أراد البعض أم لَم يُرِدْ، إن صَمَتَتْ هي صانعة قرار، وإن تَحَرَّكَتْ فهي صَانِعة قرار أيضًا، حتى في صَمْتِها.

«حتى في صمتها»، كيف يكون هذا؟

بعض الأحداث تمر بوقت طويل في التداول، التفكير، وصنع القرار، ترتبك الأمور كلها بجانبك، كل هذا وأنت تحلل وينتظر الجميع كلمة مصر لتأتي في النهاية صاحبة الرأي الصائب.

صمتٌ له معنى.

بالطبع، وإن رأَتْ أن تُراقبَ ما يَحدُث حتى يكونَ قرارُها سليمًا، هذا وقت المتابعة، وقت التَّمَهُّلِ للمراقبة، وهذا ما يثير جدلًا كثيرًا؛ لأن مصرَ دولةٌ محوريةٌ، ودولةٌ لها وَزْنُها.

هذه هي الثوابت.



(●) يظل القرار المصري- الذي يتعامل معه الإعلام، ويَبني سياساتِهِ عَليه- قرارًا فاصلًا في كُلِّ قَضِيَّة، وتظل عروبةُ مصرَ ثابتةً، ففي إطار مسؤوليتي في مرحلة ما كنت رئيسَ اتحاد الإذاعة والتليفزيون، ورئيسَ هيئةِ الاستعلامات، وكانت قد أُلغِيَتْ وزارةُ الإعلام، وكانت فاعلية دور رئيس هيئة الاستعلامات، ورئيس الاتحاد أُلغِيَتْ مَرَّتَيْنِ إِحدَاهُما في وزارة الدكتور مصطفى خليل[10]، والوزير عبد المنعم الصاوي[11] لم يأت أحد بديل لهم. وفي الوقت نفسه عُيِّنْتُ رئيسًا للهيئة العامة للاستعلامات بدرجة وزير،

حينما كان السيد منصور حسن وزيرًا.

---

[10] **مصطفى خليل:** (١٨ نوفمبر ١٩٢٠ - ٧ يونيو ٢٠٠٨) سياسي مصري، ولد في القليوبية، وكان رئيسَ وزراءِ مصرَ بين عامي ١٩٧٨ و١٩٨٠، ووزيرًا للخارجية بين عامي ١٩٧٩ و١٩٨٠.

[11] **عبد المنعم الصاوي:** من مواليد فبراير ١٩١٨م في دمنهور بمحافظة البحيرة بمصر. كاتب صحفي، تولّى العديد من المناصب القيادية، واختير دورتين متتاليتين نقيبًا للصحفيين المصريين. عُين وزيرًا لوزارتيّ الثقافة والإعلام في عام ١٩٧٧ م. كما عمل رئيسًا لمؤسسة المسرح والموسيقى، ورئيسًا لمركز مطبوعات اليونسكو. تم انتخابه كعضو في مجلس الشعب عن دائرة الأزبكية والظاهر، ثم وكيلًا للمجلس عن الدورة نفسها، كما نال وسام الفنون والآداب من الحكومة الفرنسيّة. وقد كان رئيسًا لتحرير صحيفة الجمهورية القوميّة، كما أسّس أول وكالة أنباء عربية وسُمّيت وكالة أنباء مصر، وأسّس أيضًا اتحاد الصحفيين الأفارقة وتولّى رئاسته حتى توفّاه الله.

(◉) نعم، كان وزيرَ شؤونِ الرِّئَاسةِ، ووزيرًا للإعلام، ثم أصبح في رئاسة الجمهورية، وهكذا فقد أُلغِيَتِ الوزارةُ - في هذا الوقت- وأصبح اتحادُ الإذاعة والتليفزيون تابعًا لرئيس الوزراء مباشرة.

وإلغاءُ الوزارة كان يحمِّلُنا مسؤوليةَ إدارة الإعلام بعيدًا عن وجودِ وزارة، والاتصال يكون بمجلس الوزراء مباشرةً.

ونَذْكُرُ في هذا المقام عندما حدث توقيعُ اتفاقيةِ السلام[١٢]، كانت هناك المقاطعةُ العربيةُ، وتجميدُ العَلاقَاتِ العربيَّةِ، وكانت من

---

(١٢) **اتفاقية كامب ديفيد:** تم التوقيع عليها في ١٧ سبتمبر ١٩٧٨م بين الرئيس المصري الراحل محمد أنور السادات، ورئيس وزراء إسرائيل الراحل مناحيم بيغن بعد ١٢ يومًا من المفاوضات في المنتجع الرئاسي (كامب ديفيد) في ولاية ميريلاند، القريب من عاصمة الولايات المتحدة (واشنطن)، حيث كانت المفاوضات والتوقيع على الاتفاقية تحت إشراف الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر، ونتج عن هذه الاتفاقية حدوث تغييرات على سياسة العديد من الدول العربية تجاه مصر؛ بسبب ما وصفه البعض بتوقيع السادات على اتفاقية السلام دون المطالبة باعتراف إسرائيل بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، وتم تعليق عضوية مصر في جامعة الدول العربية من عام ١٩٧٩م إلى عام ١٩٨٩م؛ نتيجة التوقيع على هذه الاتفاقية، ومن جهة أخرى حصل الزعيمان مناصفة على جائزة نوبل للسلام عام= =١٩٧٨م بعد الاتفاقية حَسْبَ ماجاء في مبرر المِنَحِ للجهود الحثيثة في تحقيق السلام في منطقة الشرق الأوسط.

أصعب الفترات، وأعلن الرئيس السادات -حينئذٍ- ضرورةَ مخاطبةِ الشعوب في الإذاعة فوق رؤوس الحكّام.

كانت عملية مخاطبة الشعوب سلاحًا ذا حدَّين، فقد يؤخذُ هذا الشعار، وهذه السياسة ويتم التطبيق بنبرة تُعَمِّقُ خلافات الصَّفِّ العَرَبِيِّ، وقد تؤَدَّى بصورة جيّدة، تُزيدُ من وضوحِ الرُّؤيةِ بين الشعوب العربيّة، وتَخْلُقُ مَزِيدًا من الائتلاف بينهم.

هل هذا هو الفرق بين إعلام عبد الناصر، وإعلام السادات؟

لا ينبغي أن أقول إعلام عبد الناصر، وإعلام السادات، فعندما أكونُ مسؤولًا، وعندي إيمانٌ قويٌّ بالثوابت -التي ذكرناها آنفًا- أستطيع أن أُخاطب الأُمَّةَ العربيَّةَ فوقَ رؤوسِ الحكامِ، ويكون لديَّ الوعيُ الكافي.. من أجل على الثوابتِ من الضياعِ وجعل المجتمعَ العربيَّ يتعاطفُ معك، ويُؤمِنُ بمصرَ المحْوَرِيَّةِ العربيَّةِ، فهي في ظِلِّ السلامِ لَم تُفَرِّطْ في الحَقِّ، وفي ظلِّ القَطِيعَةِ هي أقوى المعاندين، والأقوى عنادًا؛ للحصول على الحق، والوقوف

إلى جانب القضية العربية، وأن سلامها ليس سلامًا منفردًا ، وإنما سلامٌ لصالح الأمة.

عندما تُخَاطِبُ الأُمَّةَ العربيَّةَ بهذه الرسالةِ لابُدَّ أن تحفظَ للأُمَّةِ العَرَبِيَّةِ التفافها حول عُرُوبَةِ مصرَ، وحول محوريّةِ مصر، حتى في ظل القطيعة، فعليكَ أن تُخْرِجَ الرِّسَالَةَ لما يُحَقِّقُ الهَدفَ، ويَحفظُ الوحدة لمصر.

بالضبط، فلو أُتقِنَ هذا الكلامُ، ونُفِّذَ بِإِحْكامٍ وصل بنا إلى النتيجةِ المَرْجُوَّةِ.

بالفعل، فمسألة الثوابت والمتغيّرات مسألةٌ مُهِمَّةٌ؛ فالثابت عروبَتُنَا، والمتغيراتُ كانتِ القطيعةَ العربيّةَ، فهي شيءٌ عارضٌ والثوابتُ محوريّتي، وإننا في صمتنا، وفي حديثنا محوريون.

وعلى مستوى العالم، لابد أن تكون لنا علاقاتٌ دوليةٌ، قَوِيَّةٌ تضعُ مصالِحَنَا، وتَضَعُ نظريَّاتِنَا فِي بُؤْرَةِ الاهتمام العالميِّ، وتَجْمعُ حولنا العَالَمَ فِي كُلِّ مسمياته سواءٌ أكان العالمَ الغربيَّ، أم الأوروبي، أم الأفريقي، أم الأسيوي، وهي معادلة صعبة.

ولكي تنالَ الثِّقَلَ العَالميَّ في المحاكم الدولية؛ فلابد أن تكون لك قوةٌ وتأثيرٌ وجمعُ الأفارقةِ حَولَكَ سيكون له أكبر الأثر في ذلك.

الدور الأفريقي - بالطبع- لا يُنْكَرُ.

نعم، الدور الأفريقي - في منظمة الوحدة الأفريقية- له أمورٌ وةمواقف لا تُنْسَى.

يكفي التفكير المبكّر جدًّا في إنشاء الإذاعات الموجّهة مثلًا.

هذه هي الثوابت التي قامت بها ثورة يوليو، وبعد ذلك ننميها ونبني عليها، وهذه حلقة من حلقات السلام الأفريقية، والعربية والدولية.

السياسة أرست قواعدَ، والإعلام المصري أرسى قواعدَ، وكل ذلك كان تلبية للنبرة العالية - التي اعقبت نكسة٦٧- من أجل التغيير، فكل هذا هو ما قام به الإعلاميون المصريّون وهو شيء عظيم.

لا يمكننا أن ننسى أن الثورة هي التي أقامت الإذاعات، وأقامت إذاعة العرب، وإذاعة الشرق الأوسط، وإذاعة الإسكندرية،

وإذاعة القرآن الكريم، فقد أنشأنا إحدى عشرة إذاعة، منها إذاعة الشعب، وإذاعة الشباب والرياضة.

الدكتور حاتم[١٣].

الدكتور حاتم يمثل الثورة، لأنها لابد أن تُنشأ هيئة تمثل جهازًا في العَلاقاتِ العامة للدولة، ويكون لها مكان صحفي في الإعلام الخارجي، وجهاز المعلومات الخاص بها في الداخل، وأيضا تُنشأُ مكاتبٌ للإعلام الداخلي تنتشر في محافظات مصر للترويج لمبادئ الثورة.

فالأساس هو ثورة يوليو، وينبغي علينا بعد ذلك أن نبني عليه ونطوّره، فثورة يوليو هي التي صنعت التليفزيون، فلا أحد

---

(١٣) **محمد عبد القادر حاتم**: ولد في عام ١٩١٨، ابن الإسكندرية، رائد ووزير الإعلام المصري وصاحب الإنجازات المتعددة في الإعلام المصري، حتى استحق أن يصبح عن جدارة أبا للإعلام المصري، جاء من أحد الأحياء العريقة بالإسكندرية وهو حي كرموز الشعبي العريق الذي يعتبر أحد أقدم أحياء الإسكندرية، وهو الذي وضع البنية الأساسية للإعلام المصري في الخمسينيات، وأنشأ أول وكالة للأنباء، وأقام ماسبيرو في الستينيات، وبرهن على مصداقية الإعلام المصري في أكتوبر ١٩٧٣وهو خبير إعلامي مصري ذائع الصيت، ارتبط اسمه بوضع استراتيجية إعلاميّة لثورة ٢٣ يوليو.

ينسى مشاهدة خطاب الرئيس جمال عبد الناصر على التليفزيون وكانت الصور تتحرك فيه. كان مشهدًا رائعًا.

حتى ولو بدأت صغيرة ثم نمت، وكبرت.

وفي أوَّلِ مرة أقابل فيها الدكتور عبد القادر حسن ذهبت له إلى مكتبه عام ١٩٦٠ كي يُصَرِّح لي أن أذهب عند محل عبير بولس، ويكون لي الحق في الحصول على التليفزيون.

ولكن حدث تطوّر ملحوظ؛ لأن العدد الموجود -آنذاك- كان محدودًا ، مثل فيليبس[١٤]، وكان أخذُ هذا التصريح يتطلّب عَنَتًا كبيرًا، وأن تحصل على موافقة من رئيس الهيئة.

وكانت أول مرة أذهب فيها، وأقابل مدير مكتبه، وقلت له: إني أعرف الدكتورحاتم، ودخلت فصرَّح لي أن أشتري التليفزيون.

أكان هذا أول لقاء بينك وبين الدكتور حاتم؟

---

(١٤) فيليبس: هي شركة إلكترونيات عالمية، يقع المركز الرئيسي لشركة فيليبس في هولندا، وتوظّف ١٢١,٧٠٠ موظفًا، أما عن المبيعات فقد بلغت ٢٧ بليون يورو في عام ٢٠٠٦.

لا، لم يكن أوَّلَ لقاءٍ بيننا؛ فعندما كان يختار لهيئة الاستعلامات في بدايتها، عمد في اختياره إلى مجموعة من الضبّاط فذهبت، وقابلني، لكنني ذهبت إلى سلاح المشاة، وقلت لمدير شؤون الضباط إني لا أريد أن أُغيِّر كادري، فأنا لم أكن أريد أن أذهب إلى الاستعلامات،

لماذا؟

لأن كل مرحلة لك فيها رأي، ولك فيها قرار، ومبرِّرات، كنت -وقتها- في الحرس الوطني، وفي تدريب المتطوّعين، وكنت أجد ذاتي أكثر في هذا المجال.

إذن، أنت تؤكّد أن ثورة يوليو هي التي وضعت بذوركل ما نعيشه.

بالطبع، فهناك ثوابت وهناك متغيرات - كما ذكرنا منذ قليل- فالثوابت -كما قلنا- المحورية، العروبة، الثقل العالمي، والعلاقات التي لا بد أن تتمتع بها مصر، وبخصوصية خاصة، ودوائر الخلاف الأفريقية، والإسلامية، كل هذه ثوابت.

وهناك ثوابت أخرى مثل حق المجتمع، وحق الشعب، وهذه ثوابت في السياسة، ولكن في النهاية لا بد أن تؤمن بحق المجتمع في المعرفة، وحقه في المشاركة، لأنك لن تنجح في تحقيق أي سياسات، أو أهداف إذا لم يكن الشعب مشاركًا، ومساندًا.

فرَّق الخطاب الإعلامي بين الحزب الواحد والتعددية، فكيف تخلق خطابًا إعلاميًا في حق المجتمع في المشاركة بالتعددية؟ فهذا الأمر صعبٌ جدًّا.

وكان قدري أن أتولّى مسؤولية الإعلام المصري في مرحلة التعدُّدية، والديمقراطية، والرأي والرأي الآخر، ووجود أحزاب معارضة، ووجود صحافة معارضة. فالسهل أن يكون الإعلام موحّدًا، وموجّهًا.

بالطبع، ولكن هل لا بد من وجود رقيب عام؟

لا، هذا لا يصحّ، أنت لا بد أن تتعامل مع الواقع، وتؤمن به، ولا بد أن تتعلم أن تكسب الجديد كل يوم، لنحقق خطوة على طريق الحرية، وعلى طريق الفهم الصحيح، وعلى طريق

مشاركة الناس، وحبّذا على طريق تقبّل الرأي الآخر، فمرحلة الانتقال كانت مرحلةً صعبةً، وهذا ما قَدَّره الرئيس مبارك، وهو مبدأ من مبادئ الثورة، وهو إقامة الحياة الديمقراطية السليمة.

يقودني هذا الحديث أن أطرح سؤالًا؛ هل التوجّهات الشخصيّة للحكّام لها أثر في السياسات الإعلامية؟ فمثلًا هناك تصريح قريب للرئيس محمد حسني مبارك أنه منذ جاء إلى الحكم اعتمد سياسة مصارحة الشعب بالحقائق، وعدم إخفاء أيّة حقيقة عن الشعب المصري والعربي، فهل توجُّهات الزعماء لها أثر في سياسات الإعلام هكذا؟

بالطبع، فالخطاب الإعلامي يختلف من مرحلة لأُخرى، وقد تحدّثنا كثيرًا عن الخطاب الإعلامي للثورة، والخطاب الإعلامي في مرحلة الرئيس عبد الناصر، والخطاب الإعلامي في مرحلة الرئيس السادات وقد عاصرناها في مواقعَ مختلفةٍ، ففي عام ١٩٧٤ عاصرتُ كل هذا التحوّل في الخطاب الإعلامي.

فهو خطاب إعلامي داخلي؛ لأن الرئيس كان يقف في صراعات داخلية استشعرنا منها الخطاب الإعلامي الذي كان يتبنّاه، فقد تبنى خطابًا إعلاميًّا يريد أن ينقل به الناس من نظام الاتحاد الاشتراكي والحزب الواحد إلى نظام المنابر، عمل هذا الخطاب على تحفيز المجتمع، كي يعد لحرب أكتوبر، وهي مفاجأة أعدها الرئيس السادات إعلاميًّا بحسٍّ رهيب، استطاع بهذا الخطاب أن يبني معنويات المجتمع التى تحطمت بعد ٦٧، ورأينا كيف أعاد بناء القوّات المسلّحة، ، وأعاد الفخر الوطني بها، وترتب عليه عودة ثقل الخطاب الإعلامي.

وبعد ذلك حرب أكتوبر والإعداد الجيد لها، ثم الدور والخطاب الإعلامي في نصر أكتوبر، وهذا يحسب للإعلام المصري – أيضا- بحرفيته، وبروّاده، وكان وزير الإعلام في ذلك الوقت الدكتور عبد القادر حاتم، وقد تحمّل الكثير ودخل في معاركَ إعلاميّة كبيرة.

الوزراء السابقون

نشعر بسعادة كبيرة حينما نرى وزير الإعلام يعطي لوزير إعلام أسبق حقَّه بهذه الطريقة الرائعة.

الدكتور عبد القادر حاتم قدم الكثير للإعلام فلا بد أن نعطيه حقه، وقد عملت معه، ومع الدكتور كمال أبو المجد[١٥] - أيضًا- فهي فلسفة أخرى كانت مطلوبة في مرحلة ما.

وبعد ذلك مع يوسف السباعي[١٦] قمة الهدوء، والخيال والجمال، وقد أضاف للإعلام جانبًا من تطويع الأداء الإعلامي بشكلٍ مُحبَّبٍ للناس، لأنه فنّان بطبعه.

---

(١٥) **أحمد كمال أبو المجد**: وزير الإعلام والشباب السابق، ولد في عام ١٩٣٠، وهو قانوني، ووزير مفوض سابق في الحكومة المصرية من مواليد القاهرة، سياسي مصري بارز، ومفكّر إسلامي انشغل بالشباب، وبقضاياهم، فقد أعطى من عمره ما يزيد عن العشرين عامًا مدافعًا عن الشباب، وإليه يرجع الفضل في انتشار أقوى تنظيم شبابي سياسي عرفته مصر في الستينيات، وأوائل السبعينات عندما قاد منظمة الشباب، وعلى يديه تشكّل التنظيم الطليعي الذي قدم لمصر كوادرَ سياسية رائعة.

(١٦) **يوسف محمد محمد عبد الوهاب السباعي**: (١٧ يونيو ١٩١٧ - ١٨ فبراير ١٩٧٨)، أديب ووزير مصري، تخرّج في الكليّة الحربيّة عام١٩٣٧، منذ ذلك الحين تولى العديد من= =المناصب منها التدريس في الكلية الحربية، تم تعيينه في عام١٩٥٢ مديرًا للمتحف الحربي، وتدرّج في المناصب حتى وصل إلى رتبة عميد.

وبعد يوسف السباعي جاء الدكتور جمال العُطيفي[١٧]، وكان رجل قانون، فكان مهتمًا جدًا بجانب تعميق المؤسسية.. وقد عملت معهم، وكنت وكيل هيئة الاستعلامات، وصاحب مقام خاص عندهم، وطلب مني أن أكون مدير مكتبه كي يحقق رؤيته وكان ذلك أثناء تعديل وزاري.

فقلت له: إني أحبّك، وأُقَدِّرُك، وأشعر ببعض شعورك، ولكني أنا لا أصلح أن أكون مديرَ مكتبٍ لك، ولا لغيرك، وهذا لكي نحتفظ بهذه المشاعر الطيّبة، والاحترام المتبادل.

فأنا وكيلُ هيئة الاستعلامات، ولي رؤيتي، التي أستطيع أن أنفّذها، وأنا لم أكن أريد أن أصبح رئيس هيئة، فطموحاتي كانت فيما أملكه، ليست في أن أقسو على الناس.

---

(١٧) **الدكتور جمال العُطيفي**: وزير الإعلام المصري، تُوُفّيَ عام ١٩٨٣، وهو من عائلة الأشراف بمركز (أبوتيج)، دكتوراة في القانون، وأخو وفيّة العطيفي زوجة الدكتور صُوفي أبو طالب.

لا تكويني، ولا طموحي، ولا قدراتي في هذا العمل، فإمكانياتي أن أقود عملًا، وأن أبلور فكرة، وأن أضعها على أرض الواقع.

فقال لي: هذا إنقاذ لمركب. وعملت بعد ذلك مع عبد المنعم الصاوي كان له بُعد، وإضافة، وكان مولعًا بالثقافة لأنه أديب، ووكيل وزارة، ونقيب الصحفيين الأفارفة، وكنت معه دائمًا، وقد استفدت من هذه الشخصيات كثيرًا، فأخذت من هذا البعد المؤسسي، ومن هذا البعد الفكري، ومن هذا أخذت البعد الجمالي، ومن هذا البعد الأفريقي، والبعد الثقافي، بالفعل كانوا مَدارسَ.

أنا سعيدٌ جدًّا بهذه الشهادات المركّزة القصيرة عن وزراء الإعلام السابقين، وختمتها بكلمة (كانوا مدارس).

بالطبع، وهناك -أيضًا- من كان له بصمة في هذا المجال، هو الوزير محمد فريد، ولكني لم أتعامل معه، لأنه استمر لما يقرب من أربع سنوات.

بقي وزير لم تذكر شهادتك عنه ضمن وزراء الإعلام السابقين، وهو منصور حسن[١٨].

منصور حسن كان صديقًا لي، وأنا أذكر دائمًا من هم أكبر منّي سنًّا، أما منصور حسن فقد بدأتْ صداقتي به في الحزب الوطني، وما جمعنا أني كنت عضوًا مؤسِّسًا، وكان -أيضًا- عضوًا مؤسِّسًا، وقد طلبتُ من الرئيس السادات -في أول مؤتمر للحزب- بأن تكون هناك لجنة للإعلام، فقالوا من يرأسُها؟ فأقترحت أن يكون السيد منصور حسن رئيسًا لها، وكان في وقتها أمينًا مساعدًا، وتعاونتُ معه، ومع مجموعة كبيرة من الإعلاميين، وخَلقنا أوَّل كِيان للإعلام الحزبي، وقامت بيننا علاقة صداقة طيبة.

كنت - في هذا الوقت- رئيس هيئة الاستعلامات، لي تاريخي الإعلامي من السبعينيات، وقد عُيِّنَ وزيرًا ما بين عامي ١٩٧٩، و١٩٨٠ تقريبًا.

---

(١٨) **منصور حسن**: وزير شؤون رئاسة الجمهورية، ووزير الإعلام المصري في عهد أنور السادات.

كنت - في هذه الفترة - إعلاميًا بدرجة وزير، وقبلها ألغيت وزارة الإعلام، ولي دور في التخطيط الإعلامي، وقد وضعتُ قانون اتحاد الإذاعة والتليفزيون سنة ١٩٧٩، وناقشته في مجلس الوزراء، وفي مجلس الشعب للأعضاء، وكان ذلك قبيل تولّيه الوزارة، فكانت تجمعنا زمالة أكثر منها مسؤولية سياسية.

هل تلغى وزارة الإعلام؟

ذكرتَ أن وزارة الإعلام أُلغِيَتْ مرّتين في تاريخ مصر، فهل تتوقع إلغاء وزارة الإعلام في مصر في المستقبل ؟

سُئلتُ هذا السؤال، وقيل لي: ما هي فاعلية وزارة الإعلام؟ وقال -أيضًا-: إن الوزراء هُم العِبءُ، وهم الثقل العائق للانطلاقة الإعلامية، فما رأيك؟

فقلت: لا بد أن نُقَيِّمَ وزراء الإعلام، فالذين لم يحقِّقوا تقدُّمًا على تاريخ الحرية، والمشاركة، والديمقراطية، فهم -بالفعل- عائق لهذه الانطلاقة، وكذلك الوزراء الذين يؤمنون بنظام الإعلام الموجّه، وبنظام الحزب الواحد، ولا يستطيعون أن يتجاوبوا مع

التعدُّديّة، والديمقراطية، والحزبيّة، وحرية الصحافة، وأن يقودوا حركة التغيير، فهم -أيضًا- يمثلون عائقًا للتقدّم الإعلامي.

وأيضًا وزراء الإعلام الذين لا يَعُون أنهم في مرحلة التغيير والانتقال - مهما امتدت - لا بد أن يتجاوبوا مع معطيات العصر، ويعرفوا ثوابت شعوبهم، وثوابت أُمتهم، ويتمسّكوا بالثوابت، ويتعاملوا مع المتغيّرات بالوعي، واضعين البُعد، ومعطيات العصر؛ فهم فاشلون.

وكذلك من لم يكن لهم رؤية في أن يخططوا، ويضعوا، ويعرضوا على قادتهم أن يعدوا إعلام بلدهم؛ ليتعامل مع عصر السماوات المفتوحة، ومع صناعة الإعلام، ومع صناعة المعلوماتية، فهم -أيضًا- فاشلون.

وهذا ما يجب أن يُقَيَّمَ عليه الوزراء.. هذه المرحلة تُقَيَّمُ بهذا القدر من تماسك الدولة، ووحدة الرأي، ووحدة الفكر في التغيير للمزيد من الديمقراطية، وهذا موجود في العالم العربي كلّه ولا بد أن يكون موجودًا في دولة كبيرة كمصر.

دور وزارة الإعلام ترسيخ الديمقراطية، وترسيخ حرية الصحافة، والدفاع عن حق الصحفيين، وأن تكون حلقة وصل بين القيادة السياسية، والقاعدة الصحفية في مرحلة التغيير. يجب ألا يكون الهدف هو فرض السيطرة على حرية الصحافة، لا بالقرب، ولا بالبعد، ولا بالترهيب، ولا بد أن تحقق حرّيّة الذات، وتعالج نفسها من الداخل، وأن تقيم منظومة إعلامية تحقق التوازن بين العالمية والمحلّية، وتحقق المشاركة، وتعطي حق المواطن أينما كان موقعه، وأينما كان مكانه مثل حقّه في الإعلام، كحق من حقوق الإنسان، والوزير يعمل مع زملائه، ومع الخبراء؛ لكي يُقيمَ منظومة إعلامية تعبّر عن حضارة مصر، وثقافتها، وسياستها، ومحوريتها، وعروبتها، ودوائرها السياسية، والإسلامية، وهذه هي الثوابت التي تحدثنا عنها.

مصر خُلقت لتكون عالمية، لم تخلق أبدًا لتكون محليّة، خلقت لتكون المحوريةَ في منطقتها، لا يستطيع أحد أن ينكر مكانتها

السامقة بحكم التاريخ، والموقع، والأداء، والدور، والثقل، والقوة، والاقتصاد.

فكل هذا يُبرهن على أن هذه المرحلة كانت محتاجة إلى أن تحافظ القيادة على مرحلة التغيير، وتسلك في البناء بالقواعد التي تحمل مصر إلى الأفق الأوسع، فهناك وقت نحتاج فيه إلى القطاع الخاص لأنه قادر ومُهيئ ليتحمل أعباء الصناعة، وخسارتها.

صناعة خاسرة

وهل في الصناعة خسارة؟

نعم، لابد أن تخسر لأنها صناعة دولة تريد تنمية، وتريد تعليمًا، وتريد صحة، وتريد أن تواجه إرهاب، وتريد أن تحفظ قيامها في ظل العولمة، وتعطي قدرًا من الرفاهية للمواطن؛ حتى لا يُعجب بما في أيدي الآخرين، وينبهر به؛ فيفقد انتماءه للوطن.

ولكي تبني فَخرًا للوطن، ولكي تدخل في المنافسة الحضارية في ظل السلام، فلا بد من خوض غمار المنافسة.

هل استقلالية القرار في ظل العوامل العالمية، والإقليمية، والإذاعات، والصراعات، تعطي لمصر الحق في إلغاء الوزارة؟

إذن، الأمن القومي في هذه المرحلة كان لا بد أن ينهض، لأن طبيعة التغيير تسمح -بكل الثقة- لمصر وللقيادة السياسية أن تقول؛ فتخلق قنواتًا، لأن المنظومة الإعلامية أصبحت لها ثوابت، ولها استقرار، وحرية تمارسها، هم لا يضيفوا حرية جديدة، حتى لو صنعوا برامجَ أصعب، فلم تعد هناك بيوت، أو حواري فقد أسقطناهما، وأصبح الإنسان المصري ذا فهم ووعي وتقديرعالٍ.

فالمستقبل هو الذي يسمح لك أن تجمع بين الإعلام الخاص، وإعلام المجتمع.

وهل يشمل ذلك الإذاعة أيضًا؟

نعم، لكِنَّ سلبيات الإذاعة هي عدم وجود موجات اختلافية.

إلا «الإف إم»!!

((إلا الإف إم، ولا يوجد إعلام خاص يعمل في السياسة إلا وكان له هدف، ولا بد أن يكون ترفيهيًّا، وترويجيًّا، وغنائيًّا، وراقصًا؛ لأن الناس تميل إلى ذلك، أو يدخل في قضايا تتنافى قليلًا مع القيم، فنقول عليه: إنه مفاجأة، فأنا لا أستطيع أن أقدِّم للأسرة مناقشات مفتوحة عن الجنس.

نعم، هي أشياء مخجلة.

((ولا أستطيع - أيضًا- أن أهبط بمستوى الكلمة، ولا مستوى الغناء.

فكيف يُلغى فكر وزارة الإعلام في المستقبل؟! نحن أدينا دورنا وقبلنا هذا وقمنا بتنفيذه على أتم وجه فلا يحق لأحد أن يلغيه أو أن يفكر مجرد التفكير فيه.

يُقام مجلس أعلى؛ لينظم العمل بين القنوات بعضها البعض، هناك أفكار كثيرة خضع لها العالم الآخر، وما استطاع أن يلغي تسميتها نهائيًّا. دستوريًّا يُقال: وزير اتصالات هو -فقط- المسؤول عن تعديل الموجات،

القانون في أميركا ينص على أن الإعلام خاضع للسلطة القضائية فتدخل على أي قناة وتفتّشها وترى طبيعة عملها، وتعمل على المحافظة على النهج السليم؛ فلا ابتزاز ولا تجريح في الدين ولا ترويج للإرهاب، ولا للاستقدام السياسي لدول أخرى من خلال القنوات التليفزيونية والشبكات الأمريكية.

هناك ضوابط، فليس هناك ما يُسمى بالتسيب والحرية المطلقة في هذه المجالات للإنسان وآرائه الخاصة.

لو كانت حرية مطلقة؛ لعمَّتِ الفوضى.

هناك مواثيقُ شرف لا يستطيع أحد أن يخرج عنها.

الإعلام المملوك للمجتمع ليس كله إيجابيًّا، والإعلام المملوك للقطاع الخاص ليس كلّه سلبيًّا، وليس كلّه إيجابيًّا .

ومن هنا أستطيع أن أقول: إن الإعلام المصري مطلوب للحفاظ على الهُوِيَّة، والصنعة الذاتية، والحفاظ على القيم، والعدالة، والتقاليد، وهذا ما يربط المنظومة العربية بعضها ببعض.

فالإعلام الإقليمي هو صوت الجماهير، وابن البيئة المتحدّث، فمتى

يجد الطفل الموجود في أسوان، أو الفيوم، أو المنيا، أو طنطا، أو الجيزة، أو غيرها نفسَه في الإعلام؟ ومتى يجد مشاكله مثل مشاكل القطن ومشاكل السماد؟

ومتى يجد المؤلف، أو المغني الكتاب الذي يُرِدْه؟

فالبرنامج العام سماته مخاطبة كل المصريين، والشرق الأوسط مخاطبة خريطة أوسع، وصوت العرب مخاطبة الأمة العربية.

القضية اختلفت، ولذلك هناك توازنات، كلما زادت العالمية زاد اهتمامنا بالإقليمية، والمحلية، ونخرج بالفضاء، ونخرج بعصر التخصص بالقنوات المتخصصة، والإذاعات المتخصصة، التي تهتم بالأغنية، وأتوسّع في الأغنية، فتجد الأغنية المصرية موجودة على الساحة.

ولا نستطيع هنا أن نقول: إن الإذاعة تقلص دورها، لكنه ازداد، وسيزداد في المستقبل، كالأقمار الصناعية الجديدة والموجات الجديدة كالتليفون المحمول للعالم كلّه وفي أي مكان وفي أي موقع.

إعلام بلا حدود

كان كل رؤساء مصر مهتمين بالإعلام، الرئيس جمال عبد الناصر اهتم بالإعلام جدًّا، وانصبّ تركيزه على الإذاعة كوسيلة أُولى، وجاء الرئيس السادات وأهتم – أيضًا- بالإعلام من إذاعة وتليفزيون وصحافة، ثم جاء الرئيس مبارك.

هل تشاركني الرأي أن الرئيس مبارك أكثر اهتمامًا بالإعلام من سابقيه؟

الرئيس مبارك تحمّل مسؤولية إعادة بناء مصر، بعد أن كادتِ الحروب تُحطِّمُ بنيتها تمامًا، فهو باني مصر الحديثة.

بنى مصر ثقافيًا؛ فأعاد كل ما أندثر من آثارها، ومتاحفها، وفنونها، وأدبها.

وبنى الصناعة المصرية، فقبل عهده لم تكن هناك صناعة، ولا كهرباء، ولامرافق، أمّا القاهرة الآن، امتلأت بالكباري، والحدائق والبناء، والتعمير.

فقبل الإعلام كان دور الرئيس مبارك في بناء مصر الحديثة، القادرة على أن تدخل القرن الجديد وتواكب تطورات العصر.

كانت مصر في انهيار اقتصادي، فكان لا بد أن يبنيَ الاقتصاد، وأن يحرك كل ساكن، فكان من الطبيعي أن يهتم بالإعلام، وأن يبنيَ الاعلام بنيةً أساسيةً، محددةً، قادرةً، قويةً مع معطيات الحرية، ومعطيات الديمقراطية، ومعطيات دور التعددية، ومعطيات دور مصر العربي، ومعطيات دور مصر الأفريقي، التي أحياها الرئيس مبارك، لأنه كان في مرحلة أصيبت بالجمود، فأعاد الحياةَ للدور العربي، وعلى مستوى العالم أقام علاقات قوية وطيدة، وعلى المستوى العالمي كان لا بد لهذا الإعلام أنه يتطوّر لوجود رئيس على علم ودراية يدفعه ويطوّره، كي يكون على مستوى يتناسب ودور مصر في القرن الجديد.

ونرى أيضًا وعي الرئيس مبارك إزاء التوجّه لبناء قمر صناعي مصري؛ فليس من المعقول أن تقوم إسرائيل بهذا العمل ونظل هكذا في المؤخّرة.. هذه منافسة حضارية، فلم يجلس الرئيس

مبارك ويردد علينا الجلوس في مواقع المتمرّدين، لكنه وقّع -وأمام الملأ- كي يحمي الألسن ببناء قمر صناعي مصري، فيمضي على وثيقة لها قدرها من الفائدة ما سما بها عنها الكلام بمدى تكلفتها على الإعلام، والرئيس مبارك لا يبني قرارًا إلا على دراسة وتقدير موقف ورؤية مستقيمة.

ثم بعد ذلك تم إنشاء مدينة الإنتاج الإعلامي[١٩]، أتذكّر بداية تصوير أول مسلسل فيها وكان اسمه «البراري والحامول» كان تصويره في يوم شديد الحرارة ودرجة الرطوبة عالية تصل إلى ٣١ وكان الرئيس مبارك جالسًا في مكان التصوير على دكّة في بيئة ريفية لتناسب موضوع المسلسل، وكننا نتصبب عرقًا.. موقف رائع وجميل على الرغم من أنني كنت محرجًا من الحر والعرق.

---

[١٩] **الشركة المصرية لمدينة الإنتاج الإعلامي:** هي عبارة عن مدينة تهتم بشئون الإعلام في مصر ومقرها مدينة السادس من أكتوبر بمحافظة السادس من أكتوبر بمصر. بها وحدة التحكم الرئيسية للقمر الصناعي المصري نايل سات ١و٢، وبها العديد من أستديوهات الإنتاج التلفزيوني والسينمائي، ينتج فيها الكثير من الأعمال الفنية المصرية والعربية.
نظرا للتوسع الشديد في القنوات الفضائية العربية، وعدم كفاية الأستديوهات المنشأة في الأصل، فقد تم إزالة المسطحات الخضراء وبناء أستديوهات جديدة.

وفي الصحراء وقت إقامة المشروعات الاستصلاحيّة يتساءل: ما الذي يُفعل؟ ما هي خدماتكم؟ وبعد ذلك يفتتح المرحلة الثانية ويتساءل عن المرحلة التالية من استديوهات مجمّع مبارك .. البيت الصغير..المنطقة الإسلامية بالماشكلات.. يزور زيارتين مفاجأتين.

يقولون لي: «طيارة الرئيس بتنزل ومطلوب تيجي»، أجري كي ألحق بسيادته لأجده قد وصل ويجول بالسيارة ليستكشفها بنفسه، وعندما يدخل سيادته الفندق يتساءل: متى ستنتهون منه؟ سوف آتي مرة ثانية لأراه، المجمع.. ما أخباره؟ ما الذي بُني فيه؟ متى سينتهي؟

٧ زيارات، ٣ افتتاحات رئيسية، ما الذي يدل عليه ذلك؟

بالطبع، دليل على الاهتمام

كل المصريين كانوا متابعين للقمر الصناعي هنا، على الرغم من أن كل المصريين لن يروا غدًا القمر الصناعي، إنما الفخر الوطني.. العزة الوطنية.. إنهم شعروا أنهم على طريق التقدم، وتابعوا الرئيس في زيارات مختلفة.. الأخيرة كانت النشوة المصرية لأنهم يرون كيف يصنع الرئيس مبارك ويعلن للعالم ويقدم، ويقول

من هنا أعلن .. أعلن انطلاق إعلام بلا حدود بكل لغات العالم في كل أنحاء العالم.

هذا تخيّل كبير حقًا، ووصف تفضل به السيد محمد صفوت الشريف وزير الإعلام أن الرئيس مبارك هو باني مصر الحديثة، وأن محمد علي هو باني مصر في القرن الثالث عشر والرئيس مبارك هو باني مصر الحديثة.. وهذا خير ختام لشهادة جيدة على العصر، رصدت مراحل تطورها وخطابها الإعلامي.

الخاتمة

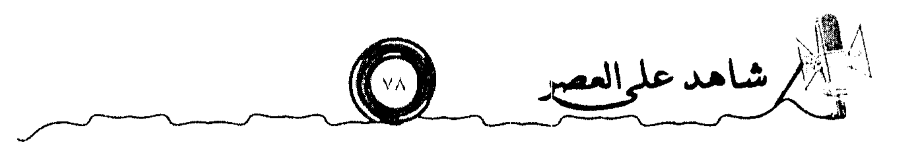
قدم السيد/ صفوت الشريف شهادة غنية بالكثير من التجارب التي عاشها، خاصة لتوليه مناصب مهمة في الحياة السياسية في مصر، في فترات لا تقل عنها أهمية هي الأخرى.

تحدث فيها عن حياته العسكرية، وكيف كانت منشأ تربيته، ثم عمله بالمخابرات، وانخراطه في هذا العمل، وكيف كان، وأهم ما قام بممارسته أثناء عمله في هذا الجهاز الحساس.

ثم تطرّق إلى القضية البرّاقة، التي ما نسيها شاهد من شهداء العصر وهي ثورة يوليو، والإنجاز الذي حققته، وكيف كانت نصرًا مبينًا وتمجيدًا خالدًا لعظمة هذا الشعب بسواعد أبنائه الأوفياء الأحرار..

أما فيما يخص الحياة الإعلامية والجانب الإعلامي فقد نال حظًا وفيرًا من شهادة السيد/ صفوت الشريف؛ لكونه وزيرًا للإعلام.

ناقش في هذا الجانب قضايا عدة منها: أثر الصراعات العربية على الخطاب الإعلامي، ثوابت ومتغيرات الإعلام المصري، ورفع شعار إعلام بلا حدود.



طُعّمعت هذه الشهادة بمواقف عدة حدثت مع السيد/ صفوت الشريف شخصيًا، مما جعلها ثرية لا يمكن التغافل عنها، وضرورة عرضها للقارئ على أكمل وجه لأمانة الرسالة التي نؤديها إليه.

الفهرس